

الأسرة المالكة ومن الوزراء الحاليين والسابقين يكون الرد عليها بضمير المتكلم إذا كانت هناك معرفة شخصية ، أو بضمير الذائب إذا لم تكن ثم معرفة كهذه بينه وبين مهنتيه ، وأن غير هؤلاء من الأفراد المروفين أو الجديرين بالاحترام يتولى السكرتير الشرقي شكرهم ، وأن الباقيين يكون جوابهم - الصمت « فادهشني وأفزعني أن أتلقى منه أمراً بالساواة بينهم جميعاً .

وقد تمود الفيلد مارشالات الطاعة السريعة التي لا تعرف التردد أو المناقشة ؛ ولعل اللورد كتشنر أصرمهم في هذا . وقد بدا لي وأنا واقف أمامه أن المجادلة لا محل لها ، وخاصة ممن كان مثلي مدنياً لا عسكرياً ؛ ولكنه لم يسمني مادمت في وظيفتي ؛ إلا أن أكون مستحقاً للأجر الذي أتقاضاه عليها ، ولذلك تشددت وأنا على مقربة من الباب ، وأجريت لساني بما يفيد الطاعة ، وزدت على ذلك أن في وسعنا على كل حال أن نهمل النتائج . وكنت كأني في حلم ، وكأني أحس - لا أسمع - سؤاله « أي نتائج ؟ » فقلت بلهجة اليأس : إن أهل الطبقة الأولى سيرون أنهم أهينوا لأنهم عوملوا كأهل الطبقة الثانية ، وإن أهل الطبقة الثانية سيعدون هذه سابقة ، وينتظرون في كل حال أن يسواوا بمن فوقهم ، وإن أهل الطبقة الثالثة سيستخدمون اسم سعادته (يعني كتشنر) في ابتزاز المال من الجهلاء والأميين من أبناء الريف .

« وساد سكون مزعج سألت نفسي فيه - بسرعة البرق - إذا طردت هل يسمي أن أسافر على الدرجة الأولى ، ولو بطريق البحر الطويل ؟ وسمعت كما يسمع الحالم صوتاً يقول : « اصنع ما بدا لك » واستيقظت في غرفتي حيث عجبت بارسال ردود الشكر قبل أن ينير رئيسي رأيه

وفي الأسبوع الأول من عهد كتشنر ، سمع المستر ستورس أن طائفة من الموظفين الأنجليز يتوون أن يستقيلوا ، بعضهم لكراهتهم له ، والبعض الآخر لأنهم يتوقعون منه أن يقيلهم . فرأى المستر ستورس من واجبه أن يبلغه ذلك من غير أن يذكر له أسماء . فقال له كتشنر : « إذهب إلى النادي (تيرف كلوب) وأعلن هناك أن عندي هنا في هذا الدرج استثمارات مطبوعة بقبول الاستقالات » . فأذاع المستر ستورس هذا الخبر ، فلم ترد استقالة واحدة !

اللورد كتشنر

كما بصوره صاحب « المشرقيات »

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

واقفتي من كتاب « المشرقيات » للسير رونالد ستورس ، على الخصوص ، طائفة من الصور الوصفية لجماعة من مواطنيه الأنجليز الذين كان يعمل تحت رياستهم . وكان السير رونالد هو السكرتير الشرقي لدار المتعمد البريطاني في مصر ، أو قصر الدويارة كما كانت تسمى قبل الحرب ، وقد ظل يعمل تسع عشرة سنة في مصر وفلسطين بعد فتحها وجملاء الترك عنها ، ويقوم بأثقل الأعباء وأخطر المهمات ، وهو يعد - في اصطلاح الوظائف - « ظهورات » والمراد بذلك أنه غير « مثبت » ولا يحسب له معاش ، ولا يمنح شيئاً سوى الشكر والتناء إذا ترك الوظيفة أو استغنت عنه حكومته . ولم ينتظم في سلك الموظفين الداعين إلا بعد أن تخلى الجيش البريطاني عن إدارة فلسطين وأسلم الأزمة إلى حكومة مدنية برياسة مندوب سام

فهذه واحدة قد تكون فيها عبرة للمصريين

ومن أشهر المتعمدين البريطانيين الذين تماقبوا على مصر قبل الحرب وبعدها اللورد كتشنر ، وقد قص عنه السير رونالد بضع نوادر تصوره أروع تصوير . منها أنه على أثر مقدمه ، سبقه السير رونالد - وكان لا يزال المستر ستورس - إلى قصر الدويارة ، وجلس إلى مكتبه ينتظر أن يقرع له الجرس . وكانت حكومته قد أنبأته أنه سيكون مع اللورد كتشنر « تحت الاختبار » فإذا رضى عنه فيها ، وإلا فهو مفصول لا محالة . ولم يكن المستر ستورس يرجو خيراً ، أو يطمع في رضى رئيسه ، فراح يحسب ما ادخره ليرى هل يكفي لنفقات السفر على الدرجة الأولى وهو عائد إلى بلاده . وإذا بالجرس يذق ، فنهض ودخل على كتشنر يحمل إليه آلافاً من برقيات التهنئة التي تلقها الدار

قال ستورس : « وكان الفيلد مارشال يمدق في مكتبه وهو يسأل عن هذه الأوراق ما هي . فأخبرته ، فسألني ماذا أنوي أن أصنع بها ؟ فقلت : إن رأبي هو أن التهنئات الواردة من أعضاء

ويقول الستر ستورس إنه اشتاق إلى الاطلاع على هذه الاستمارات المعجبية، ففتح الدرج فألقى فيه صندوقاً فيه سجائر ! وتندى سلاتين باشا مرة مع كتشنر ، فقال على الطعام ، تمهيداً للكلام في أمر « معاشه » :

« إن من دواعي أسنى أنى لم أوفى في حسن تدبير الجانب المالى من حياتى »
فقال كتشنر : « إن من يعرفك يا عزيزى سلاتين لا يخطر له غير ذلك »

ولم يكن هذا بالرد المشجع على الاسترسال ولكن سلاتين باشا لم يهزم فقال :

« هأنذا ظلت في أسر المهدي اثنتى عشرة سنة ، عارياً مكبلاً أكثر الوقت ، وقد وقمت في هذا الأسر وأنا في الخدمة ، ومع ذلك لم آخذ قرشاً واحداً طول هذه المدة »

فكان رد كتشنر : « صحيح ياسلاتين ، ولكنك لانتطيع أن تزعم أنك أنفقت شيئاً في هذه المدة ! »

وبعد هذا الجواب انتقل الحديث فجأة إلى الطيران ومحصول القطن !

ولما جاء إلى مصر كامل باشا الذى تولى الصدارة العظمى في تركيا أربع مرات ، زاره اللورد كتشنر في فندق سميراميس ، فتذكر كامل باشا أنه لما كان والياً في الأناضول كان كتشنر قنصلاً لدولته هناك ، فقال كتشنر :

« نعم ، ولكنك توقلت في ممارج الرقى بسرعة ، أما أنا فكنت يومئذ قنصلاً ، وقد احتجت إلى ثلاثين سنة لأصبح قنصلاً عاماً ! »

وكان إذا جاءه البريد من لندن ، يفتح منه أول ما يفتح ، كتاب وكيله الذى يصف له فيه مبلغ التقدم في إعداد بيته هناك وإصلاحه . ويقول ستورس : إن العمل في بيت كتشنر استغرق سنوات وسنوات ، لأنه كان ينفق عليه مما يستطيع أن يدخره من مرتبه . وكان هذا البيت هو كل ما يعنيه من أموره الخاصة ؛ وشاء القدر ألا يسكنه قط ، لأنه غرق قبل أن ينتقل إليه

ولم يكن يحسن الكتابة أو يقبل على القراءة ويعنى بالاطلاع مثل كرومر . وكان قلما يلعب غير الشطرنج في القطار أو على

الباخرة . ولم يكن له ذوق غورست وفهمه للموسيقى والعلوم الطبيعية ، أو ولع اللهي بالألعاب الرياضية والشمر ، ولكنه كان مشغولاً بالمعادن وقنون الزينة

وقد قامت الحرب ، وهو في إجازته في إنجلترا ، فأراد أن يجعل بالعودة إلى مصر لأنه كان يخشى أن تسكل إليه حكومته وظيفة استشارية . فلما صار على ظهر الباخرة تلقى برقية من رئيس الوزارة يطلب بقاءه ، فماد إلى لندن ومعه السير رونالد ستورس

وفي نيته ألا يقبل شيئاً دون وزارة الحربية مع اطلاق يده فيها . فأعطوه ما طلب . فأراد أن يتخذ السير رونالد سكرتيراً خاصاً له

وأمره أن يستأجر له بيتاً ، ويحيطه بسيارة من طراز « رولز دويس » وأن يذهب إلى الخارجية للاتفاق معها على الانتقال مع كتشنر إلى الحربية . وكان السير رونالد لا يريد هذا الانتقال لأنه ليس

من رجال الحرب ولا دراية له بشؤونها ، ولكن كتشنر كان رئيسه — لأنه لم يستقل من وظيفته في مصر — فأطاع . فأبى رجال الحربية أن يسمحوا بهذا النقل ، ولكنهم كرهوا أن

يمارضوا كتشنر ، فكلفوا ستورس نفسه أن يتولى هو عنهم إقناعه وإبلاغه أنهم محتاجون إليه في مصر

فلما عاد إلى وزارة الحربية ألنى كتشنر ينسل وجهه ، وهو نصف عار ، ووراءه عدد من القواد الفرنسيين ، فانتظر حتى فرغ مما هو فيه ، ثم أخبره الخبر ، فانتنع كتشنر ، وقال : إن رجال الخارجية على حق . وكان من مزايده — على ما يروى السير رونالد ستورس — أنه لا يتردد في الرجوع إلى الحق ، ولا ينجبل أو يستنكب من ذلك

ابراهيم عبد القادر المازني

أطلب مؤلفات
الاستاذ النشاشيبي
وكتابه
الاسلام الصحيح

من: مكتبة الرشد، شارع الفلكي (باب اللوز)،
رس: المكتبات العربية اشهره